10
الطبعة العاشرة

محمد السالم

كلك الليلة في صدري

كُلّك الليلة في صدري

محمد السالم

٢٠١٧

لكن لا شيء تغير ..
ظللتُ أسمركِ
في ظلال النهار
وفي ظلمة الليالِ الطوال

هبنيْ

هبنيْ
قبل موعد الهلاك
قبلةً
أو حضنًا من أحلام
كم من السنين
انتظرتُ
على الرصيف ..
ولم تأتِ
حافلة الأمنيات ؟

هبنيْ
أمانيَّ وقبلةً
فيها
نافذةٌ وشارعٌ
يتعانقان
وطيورٌ في أثير الأفق
تشدو
أغنية الحنان

لا تقل:
اصبري
فالفرج قد حان ..

ولا تقل:
انتظري
فالوقت قد طال

عاشقةٌ أنا
من رفات الأحلام
ما جئتُ يومًا
لاستبق الأحداث ..
لحظات العمر
تسبقني
وساقاي قصيرتان !

لمَ أنا ؟
والناس في كلّ مكان ..
ثم تركتني وحدي
لا ألوي لشيءٍ
سوى الذكريات

هل لك الآن
أن تهبني
عمريَ
و السنينُ الضائعات
في الانتظار
وقبلةً
بعد فوات الآوان؟

أغنية الفراق

لستُ أدري
من منَّا ابتدأ
أغنية الفراق ..
ما كان صوتي
يقوى
وشِفاهُنَا في حالةِ
انصهار ..

من ابتدأ؟
لحن النايَ
والنكدِ .. والبكاء؟
في ليلِ دامس
سبقه ً نهارٌ أغبر
لم تبتسم فيهما الحياة ..

حزينُ اللَّحْنِ قد كان
صوتَكَ
ونشازُ الدمعِ .. لغم
نُصِّبَ في أرضِ سلام

قلتِ: وداعًا
وليحففك الإله
ببحبوحةِ حبٍّ
و فرحٍ ..واكتفاء

يا عصيةً على الفراق
ما الحياةُ تمضي
دونكِ ..
دون الشعاع
دون الأملِ ..
دون الانصهار
في كفٍّ امرأةٍ
يطيبُ بها السُهاد.

ورحلتِ
نعم .. رحلتِ
يا لأسفي .. لستُ أدري
من منّا ابتدأ
الغناء
حتى استيقظ الفراق

حيرة

ماذا عساي أن أفعل
بلا عينيكِ المضيئتين ..كقنديلٍ
في ليلةٍ معتمة.
رأسي يترنح
ثملٌ لم أذق
عذوبة مطرٍ
أو كأس عنبٍ
ولم ارتطم بنيزكٍ طائش
أو نجمٍ يافعٍ .. عابر

كلَّ ما في الأمر
أن الليل طويل
والأغصانُ تتبرأ
من ذنب أورقها
والخريف يرتدي
صوفة الشتاء
وعيناكِ .. بعيدتان.
وذلك كله يدفعُني ..للجنون!

قسوة قبيلة

لم أعد اهتم
بتلك الأمور الصغيرة المتعلقة
بمظهركِ، شعركِ، وفساتينكِ
أنا الآن أتساءل بما هو أهم:
هل ستكونين لي؟
أم أن القبيلة لها رأيٌ مختلف؟

واعتذر اليوم منكِ
إن كان فؤادكِ .. حزينًا
بشوقٍ يغني
ما كان الأمر بكفكِ
وما كان بكفي
قدر السماء .. اليوم
ضدكِ
وقسوة القبيلة دائمًا ..
ضدي

وميدان الصحراء

ساحة حزني ..

والحنينُ .. ساعة قلبكِ

وقلبي

فلتبكي ..

دمعةُ العاشقةِ

عنوانُ الحبِّ الصادقِ

ومنهالُ دمعي

سببًا واحدًا

أعطني سببًا واحدًا ..
واحدًا فقط
لأبقى ..
أعطني أملًا
كاذبًا إن شئتْ
صادقًا كما ظننتُ
أنك الحبّ ..

قُلْ :
أنك دوني
لا تصطاد الغيم
من محارة السماء
وأنيْ
عصاك السحرية
بها يستحيلُ بيتنا الطيني
إلى قلعة حلوى
يتراكض حولها الأطفال
و ترفرف الفراشات

قُلْ :
أنك العشبة
وأنيْ الحديقة بأكملها
فقد تعبتُ .. يا حبيبي
من جفاء الكلام
قلبك سدٌ منيعٌ
وقلبي نهرٌ جارف
بالحنان

والرجاء
ألّا تبكي ..
كلنا يدرك أن ذنب الدمع
يفقدنا هيبة الكبرياء
اهتزاز الغصن
لا يوقف الراحلين
إلى الضفة البعيدة

ستبقى
تمرح في ذاكرتي
بابتسامتك ..
تلك التي أهوى
ستبقى
الرجل الأول ..
وظننتك .. الأنسب

حينما تحكين لي

تحكين لي الآن
عن أشياء كثيرة لا أكترث لها.
تحكين طويلًا
وأنا لا أنصت إلى هذا الكلام
المتدفق كشلال
لكنني استمع .. بحبٍّ
لهذه النوتة الموسيقية التي أحبُّها جدًا.

صوتُكِ .. يا ضيائي
موسيقى تعزفُ على أوتار قلبي المتراقص
كمهرجٍ في كرنفال
على لحنًه البديع

تبارك من جعل في صوتكِ
هيجانيْ، وسكونيْ.
أنه يطيرُ بيَّ كبساطِ ريح
ويصطادني كشباكِ بحارٍ
يالله!
كيف لصوتكِ أن يفعل بيْ كلَّ هذا!

رسالة واردة لبريد مهمل

عزيزي ..
لقد غنَّيت لكَ اليوم
أمام الوجوه الغريبة تجسرتُ وغنَّيت
لم أخبرهم عنك، لكنهم شاهدوا وجهك جليًا
ينبعث من حشرجة الحنين في صوتي
وحزن اللّحنِ
كنت قد أخبرَتني أنَّ ليَ صوتًا جميلًا
كان يدغدغ وجدانك حينما أغني لك
فتضمُّني
بذراعين تمزق كل حزن فيَّ

حسنًا .. لقد غنَّيت لك اليوم

بقلبي

فهل لكَ أن تأتي

مِنْ رحلةِ غيابك

وتضمّني

كما كنت تفعل؟

في صباحٍ ما

صباحُكِ عاشقٌ
قضى ليلَهُ يُغني
ويكتب شعرًا
في عينيكِ
صباحُكِ عاشقٌ يقول:
أنا الصبحُ
وأنتِ : الشمسُ والطيرُ، والزهر.

حينما

لنمارس الطفولة
حينما تكون الأرض خضراء
ونوافذ السماء مُشَرَّعةٌ
على اتساع الأفق،
والبحر على مرمى البصر
يتهادى ..
كطفلٍ
على صدرِ الشاطئ
يلعبُ.

ضمّني

ضمّني
ضياء النهار يَلْفِظُني
وعتمة الليل
بحر عميق يبتلعُني
وحدك المركب
فـمُدّ شراعك،
وضمَّني.

ما يُضْنيك؟
وأنا أصلِّي لأجلك
لأجلي ..
لأجل الأمنيات المعلقة
على نوافذ اللقاء.

وما يخيفك؟

والقلب .. بتوقٍ

يريدك ..

والربُّ يسمع صوتي

وهمسي

الغائب الحاضر

لَمْ تغيبي عني

جسَدكِ وحده الغائب

صَوتكِ ..

عطركِ ..

كَلماتكِ ..

ورُوحُكِ

كانوا دائماً هنا

بجانبي

حين تُوَقَّدُ شعلة الحنين

يا صباح

مرحبًا يا صباح
حبيبتي نائمة
لا تزعجها بضوضائك
شعرها طويل كالنيل
عيناها لؤلؤتان
بيضاء تحب أسمرًا
إن تصوَّرت الحور رأيتها
فكن لطيفًا معها

فاصل أول

السطر الذي تتعثر في كتابته، الذي يربكك ويخنقك حتى تكتبه بلا طوع، هو السطر الأهم في مخطوطتك.

لوعة الإنتظار

لكل بدايةٍ .. نهاية ؛ لكن لا شيء بدأ لينتهي. طوق النهار يضيق في خصر ساعةٍ رملية. يتناثر مع حبات رملها وكأن أحدهم يهرول لنهايةٍ لا عنوان لها.

في النصف الأول من السماء : حديقةٌ . تتأرجح أحداهنّ بين ورودها و عشبها الأخضر، يضحكون كلما عبروا من أمامها، غشاها العمرُ بسنينٍ ضيقت سوار حريتها ومتعة الحياة. قلبها صغيرٌ،لم يكبر معها.

الهواء القادم من الشمال يداعب العشب، و قرص الشمس يغرق في بحرٍ من سحاب. الجميع يرحلون تتبعهم ظلالهم، وحدها ظلت تتأرجح .. تترقب .

في نصف السماء المتاخم لتوأمه : بيتٌ . رصيفه باقةُ زهور لـعُشاقٍ بلا لقاء. كان ينتظر هناك، يردد في داخله قصيدةً غزليةً لا تتمنع أمامها كل امرأةٍ عنود. اللغة تخونه في مواضع فـيراقصها بمجازٍ عاجلٍ كطردٍ بريدي فوق دراجة ساعي البريد. حين أنتهى من غزلِ قصيدته، حدّق في مزلاج الباب ينتظرُ نورًا يعبر من خلفه فتتلاشى عتمة الهواجس المزعجة التي سكنت صدره. ظل يحدق ... يترقب.

سكُنتْ حبات الرمل في باطن الساعة الرملية ولم يتجرأ أحد على قلبِها. طرفا السماء تباعدا ولم يكون هناك قمرًا ليلتها؛ ليملأ ذاك الفَراغ الرتيب بينهما.

أميلُ نحوكِ

أميلُ نحوكِ

وفي ثغري حلوُ الكلامِ

ممسكًا - بيميني -

عنق السماء

وفي يساري

شجرةُ بَلّوطٍ كان غِصنها

بالإمسِ

شرفة الهذيانِ

أميلُ؟
أنا جذعُ النخلةِ .. لا أميلُ
لكنَهُ
صوتُ الخِلخَال المعلقِ
في ساق جنةٍ .. يورِّطُني
وعينٌ يتموَّجُ البحر لها
بفعل نظرةٍ .. تأسرُني
وخدٌ أحسبه
من شدة نقاءهِ
غيمةٌ .. تُمطِرُني

آخ ..
أناَ جذع النخلةِ
سأميلُ!
نحوكِ .. سأميلُ.

شتات

تقلّب على جانبيه

حتى استوى

فاهٌ فاغِرٌ

وعينٌ تحدِّقُ بالثرى

لا يدري

بأي أرضٍ

حبيبًا له..انطوى.

دمعةٌ

منها بلعومهُ

ارتوى

فاصل ثانٍ

هذه الصفحة كان من المفترض أن أكتب فيها شعرًا أو نثرًا ..
أو حتى كلامًا يصف عينيها وكم أنّي أحبها.

لكن الكلمات كلها خذلتني، فجاءت هذه الصفحةُ بهذه الهيئة.

أعتذرُ لها.

غُصْنُ الخريف

أريدكَ
يا صاحبَ العُنق الطويل
والصَدر الدافئ
العريض ...

أريدكَ في دجى الليلِ
بدرًا ..
ضياؤهُ شمعةٌ
تنيرُ الكونْ
وغصنًا تتآكلَه
نسمات الخَريف
لأبقى ..
على طَرْفِك الأقصى
بلا شريك

أنا ورقة الغصنِ
لا يمسسني
إثم الخِريف

أريدكَ
لا خوفُ اليومْ
من سيفِ الرقيبِ
ألا تأخذني؟
في صدركَ .. الدافئ .. العريضْ
لأغفو حتى يحينُ
موعدَ الرحيلْ؟

قد كان شُجاعًا
قلبكَ
وكنتَ لا ترضى
بأنصافِ الحنان
وعنقكَ .. ذاك الطويل
كان مِظلةً
أهرب إليها
حين تبكي السماء
وأتبلل بالحنين.

أريدكَ كُلّك
الليلة
... في صدري

سنذكركم

طوقُ النجاة أصبح ضيقًا
لابد من تضحية
اقفزوا للمياه الباردة
و لا تقلَقوا
سنذكركم
عامٌ أو عشرة أعوام
ثم سامحونا ..
إن نَسَيناكم.

حين سألتني

تَموُّجُ الغرام.
تَحقِّقُ الأحلَام .
تُضيءُ العتمةَ.
تخوصُ الحزن.
تكرر الاندهاش كما لو أنها أولى اللقاءات.
تعبث بيْ كموج بحرٍ استقر فوقه مركِبٌ خشبي
سنارة صاحبهِ لا تصطاد سوى الماء.
و ترمِمُني .. أنا الحائط المنهار
فوق جبال الحنين .. وتلال الحرمان
«هذا ما أردت قوله حين سألتني عن حبي لعينيك»

فاصلٌ ثالثْ

الفرق واضح بين
«لدي أصدقاءٌ كُثُر»
وبين «لديَّ صديقْ».
الأولى: محاولةٌ لإقناع الذات
الثانية: يقينٌ تامٌ بذلك.

احتضان مشروع

كأي عمود إنارةٍ

عَجَزَ ضوؤه عن احتضان

النافذة المقابلة

كنت انتظر وصالك ..

وكنتُ أعلم أنكِ أبعدُ

من طيرٍ مهاجرٍ

وأقربُ

من أمنيةِ مسكينٍ

حتى صفعتني الحياة وهي توبخُني:

أفقْ .. من أحلام لا تطولها

أفقْ .. أيها الحالمُ فما الحبُّ فضيلةٌ

في بلدةٍ تصاهر «وسوسة الكلام»

وضحكوا حين علموا:

أحبّ الأسمر!

وآخرين استاؤا:

الأسمر يُحبّ!

لكن لا شيء تغير ..

ظللتُ أسمركِ

في ظلال النهار

وفي ظلمة الليالِ الطِوَال

و استفحل الفراق:

عمود إنارةٍ

يشتهي احتضان نافذةٍ

يغفو فوقها .. اليمامْ

كابوس

لا يمكنك أن تعود للوراء، ليس الآن، أعني ليس بعد أن قطعت هذه المسافة الطويلة كـ سكةِ حديدٍ يمتطيها قطار الزمن. ليس بعد أن نفضت غبار الطريق عن ساقيك، وأيقنت أن ما مضى .. قد مضى، وأنك الآن أنت، وأن النّص الذي كتبته سابقًا نسيته، ونسيت لمن كتبته، وأنك تريد أن تكتب من جديد، شيئًا جديد، وما مضى .. قد مضى.

إلا أنك تتعثر بحجرٍ كنت قد رميته سابقًا دون أن تدرك أنك تتعثر بما تصنعه في ماضيك، وأنه يرحل معك كظلٍّ خفيٍّ يتربص بك.وها أنت اليوم تجني ماضيك.

تشعر بقلبك وهو يرتطم على الحافة، وفي غفلةٍ منك تطوقك أغلال الماضي الصدأة، تخنقك، ولاتزال تقول لنفسك : «لن أعود .. لما مضى»، لكنها تجرحك، تجرك إليها، للفراغ حيث لا شيء هناك سوى بعض دمعٍ وذكرى مبتورة.

تحاول أن تفك أغلالها بيديك الصغيرتين، أنت عاجز تمامًا، لكنك تحاول. وقبل أن تستسلم للأبد، تفتح عيناك الضيقتان، تحدق في عتمةٍ لامنتهية، تتعوذ ثلاثًا، ثم تضطجع على جانبك الآخر وتقول : «كابوس لعين» قبل أن تعود للمنام مجددًا.

فضاء

لا تكتب لكي تجيب سؤالًا فيه أنت حائر. الكتابة لا تعطيك جوابًا ولا تمهد لك طريقًا مستقيمًا. هي تبقى فراغًا أجوفَ لا يمتلئ مهما سكبت فيه من ماء الكلمات.

يحلو لك، أحيانًا، العبث بوجه ورقةٍ بيضاء، تحولها إلى قصيدةٍ أو نثرٍ طويلٍ كجسر معلق بين سمائين. تكتب وتعبث إلى أن تستحيل ورقتك إلى فضاءٍ عبثيٍّ قلّما يدلك إلى إجابةٍ نهائية، إلى طريق التبيّن والضياء.

تساؤل

في هذا العالم المنشغل بمصالحه
أتساءل إن كان المطرُ
يسقط ليروي البشر!
أم ليروي شجرةً
تقفُ وحيدةً
على حافةِ الرصيفِ
ظمآنة ؟!

كُنتِ هُناك

من خلف ندى نافذتي كان خيالُك يتراءى ليَ
بضبابيةٍ مُقيتة.

كنتُ أراكِ تسقين حديقة الأزهار، تلوحين للمارة بابتسامةٍ مشرقة يغبطون من يستيقظ لها وبها كل صباح، تحملين قط جارتنا العجوز والضائع منذ البارحة لتُعِيديهِ إليها، وبدلًا من أن تشكركِ، توبخكِ من جنونها .. ولكنكِ تضحكين.

كنتُ أراكِ ..
هناك .. كما أريدُكِ
من خلف الندى ..
.. كنتُ أراكِ

فلتضحكي ..
فالضحك منارةُ السعد
كم من الأيام ننال
لتفنى بين الحزن و العبس؟

ولا تقلقي
من دنيا تتزاحم بالبشر
فوقنا ربٌّ
كريمٌ
يعطي بلا سبب

Delete

أما أنت ..

فلم يبقى شيء

منك

سوى رسائل نصية

لازلت أحتفظ بها

تنتهي بأيقونةٍ حمراء مكررة

على اتساع السطر

وملفٌ صوتي

كنت فيهِ تغني

" أنا لحبيبي .. وحبيبي إلي " ..

ذاك ما تبقى منك

من ذكراك

فكيف تكون عصيًا على النسيان

وأنت

بلمسة أصبعٍ خائفٍ

تُمحى ..

من أين ؟!

ما لأنوثتكِ مثيل
ناعمةٌ أنتِ كغصن ياسمين
مدهشةٌ كعين طفلٍ صغير
ومتفردةٌ بجمالٍ كحورٍ عين
فمن أين آتي .. ببديل ؟!

وحين تضحكينْ
قلبي المسكينْ .. تأسرينْ
بخدٍ كالسماء .. أحسبهُ
صافٍ ناعمٍ ...
وجميلً
وبشفتين حين تتساحقا
خجلًا
أغدو في رَحابةِ الحبِّ
ملكٌ جليل

لولاكِ
ما كان النساء
نساء
وما كان على انبساط الأرض
وردٌ و ريحانْ
أينيرُ القمرُ
بلا شعاع
ليبدو أجمل الكواكبِ
و أرق عنوان ؟

أنتِ صوتُ نايٍ
والَباقياتُ
نشازْ

بدِّليني إن شئتِ
فإني
لستُ أجِدُ بديلاً
لامرأة
تدبُّ في قلبي
كما الحياة

من أنا !

من أنا؟

فكرة معلقة على طرف برواز صورةٍ منسية، تآمر الزمن في سلب بريقها، فباتت لا تتجاوز حدود الإعتيادية، ضوؤها الآسر.. بهت.

من أنت؟

الصمت المطبق في فاهٍ أبكم. لا حيل لك سوى أن تتمسك بذاتك التي خلقت عليها، ورغم أنك تقرأ حديث كل شفةٍ تهمس من بعيدٍ أو قريب، وتعلم كيف يجب أن ينطق كل حرفٍ في الأبجدية .. لا تحاول.

تصمت وتتعايش مع فكرتك المعلقة.

أين أنا؟

في داخلك

أين أنت؟

في عمقي.

رعشة

أخاف أن يأتي يومٌ
أراكَ فيهِ
ضاحكًا .. مسرورًا
في حضنٍ آخرٍ
مرتميًا
وأنا الذي
في حضنك ..
كنتُ
أقطف أشجار السماء
وامتلِئ بالدفء ..
والضياء

محادثةٌ عابرة

- في أي المواسم يهطلُ النسيان؟
- في موسم الموتِ ..
- لا أريدُ أَن أموت لأنسى!
- لم أقصد موت الإنسان، بل موت الأزهار
- ولكن ما العلاقة بين النسيان و الأزهار؟
- حين تحب، ماذا تقدم للحبيبة؟
- زهرة!
- وإن أهملت حبيبتك زهرتك ؟
- ماتت
- لذلك يأتي النسيان بعد الإهمال

بعد موت الأزهار! ..

من يحبك لن يدع أي ذكرى لك تموت، وإن كانت زهرة!

#

- لمن نكتبْ؟

- للغائبين ..

- من سيقرأ إذًا؟

- أطفال الشوق

وسماؤهُ

والخُطى المثقلةِ بطينِ الحنينْ

#

- وماذا نكتبْ؟

- الحنين ..

كيف يُكتب الحنين؟

- إبكي ..

- لمَّ ؟

- يُكتب الحنين هكذا

- ... !

شعوذة

يا عرافة ..
فقدتُ أغلى إنسانه
أخبريني أين ألقاها
وأين هو شاطِئها ومرساها ..
أخبريني في أي غيمةٍ تسكن
وفوق أي نجمةٍ تبات

يا عرافة ..
عيناها كوكبان مضيئان
لم يمسسهما من قبلي إنسان ..
أخبريني يا عرافة،
هل ما زالت عيناها عذرائتان ؟

إنها بريئةٌ كطفلةٍ في المهدِ
بكاؤها .. صمتُها الأبدي
صوتُها .. مطرٌ حين تغني
وسكرٌ حين تتحدث ..
يا عرافة:
لا أحد غيرُها يمطرُ سكرًا!!

وجهها في دجى الليلِ قمر
و في عين الشمس شعاع
وطنٌ ما احتله منْ قبلي وَجَع ..
يا عرابة:
هلكتُ مُغتربًا
فأخبريني أين رحل وطني؟

ضحكتها ..

يآه يا عرافة ..

ضحكتها ...

عِناقٌ ، دفءٌ و حنان ..

اشتاقُها حَدَّ الألم،

حد الإذلال بسؤالٍ مشعوذةٍ عن مكان ملاك!

قالت في أول لقاء:

لن أفارقُك ..

وفي ليلة الفراق

قالت: لن أنساك ..

يا عرافة ..

انْقَضَت عهدها؟

ونست؟

كما فارقت؟

لنهرب!

العالم كله نائم

هيّا لنهرب !

لا تجلبي شيئًا معكِ ..

أنا حقيبة سفركِ

مشطكِ

وشاحكِ

و أنتِ:

تذكرة حريتي من هذا العالم.

هذه حبيبتي

إن قَهْقَهت.. استعمرت البلاد
بلادٌ حدودها قائمةٌ بين رئتين
ورفعت راية النصر
و الطغيان
فَتَصُبُّ في داخلي
حِمَمٌ من الدفءِ و الحنان.

و تُرشِقُ عيناي بنظرةٍ
فأتمتمُ بسبحان من أسرني
بين رمشٍ و هدبْ.

وإن نامتْ
غاب القمرُ في جلبابِ الليلِ
وإن استيقظت
يحِنُ وقت صلاةِ الحبِ
بين شفتين!

و إن خجلت
شاحت بوجهِهَا
فينزلقُ شعاع الشمسِ
بين خصلات شعرها
و يَتَنَاثرُ الورد من شدةِ حمرةِ خدها.

أخبروها

أخبروها
ما نسيتُ يومًا حُبُّها ..
حملْتُه طِفلًا -بريء الضحكاتِ-
على أكتافي
حتى اشتد عُودهُ
فحمِلَنِي و أزاح أثْقَالي
حين علَّمني كتابةَ الشعرِ
و قراءة كفوفِ الأيامِ

أخبروها
ما بكيتُ ..
حين تلاشت الأماني
حينما صاح قلبها:
لاقني .. يوم اللقاءِ
يوم كلُ نفسٍ تلاقي
خطيئتها ..
خطيئة الحياةِ.

وكيف أبكيها؟
وعينيَّ ذائبتينِ
مُنذ أشاحت وجهها
وعيناها قطرتا ندى
ومطرٌ ..
وساحتا إعدام

أخبروها

أن رجلاً لازال يحتفظ بكتبها

و قصائِدها البريئة الناقصة

ويبري كل ليلةٍ

تحت ضوء الشمعةِ

أقلامها ..

علها تعود مع أسراب الحمامِ

لتكمل قصيدتها

لتكتب شطرها الأخير

بين ذراعيهِ ..

فوق صحيفةِ عنقهِ

الورقة

تدور في داخلك قصيدة، تقفز في مساحات صدرك بعبثية طفولية ووحدك لا تمتلك شجاعة عنترة لتكتبها. لم تفكر، ساعتها، في نوع القلم، قلم رصاصٍ متآكلةٍ مؤخرته أم قلم فاخر أهدي إليك هكذا لحظة، كل ما يدور في رأسك : كيف أكتبها؟

لا تنفك عن جمع ما تبعثر منها في صدرك، تطرح ما ليس على شاعرية الوزن، وتقسم قافيتها بعدلٍ بين الشطر والآخر، تمامًا كما كنت تخطط له حين تجمع زوجاتك الأربع.

لكنه الإلهام .. جاف، مثل بحيرةٍ تقرأ عنها في روايةٍ ما ولا تجدها على الخارطة، فتقيد خطأً جديدًا في سجل الروائي الذي كان يكتب ما يريد أن يكتب عنه، لا ما تريد أن تقرأه.

لقد أمضيت دقائقك الخمس الماضية وأنت تدحرج قلمك فوق وجنة ورقةٍ بيضاء لا تذكر من أين جاءت. وقبل أن تعلن انسحابك، تجد وجهًا كرتونيًا رُسِمَ بلسانٍ ساخرٍ فوق الورقة .

لحظة لامبالاة

ليس هناك ما يستدعي الغضبْ
حكايةُ حبٍ و انتهت
لستِ أولَ من فارق
ولستِ أول من انجرح ..
هي فقط، حكاية حبٍ ..
وانتهت

خط استواء

الخطُ المستقيم

بين نقطتي قلبينا

كان وعرًا

طويلًا وعاصفًا؛

لذلك: سلكناه ..

وحين تعانقنا

لم يكن هناك أحدًا قادرًا على فصلنا

سوى الله

لا ضير اليوم من
"قيل وقال"
عورةُ الحياةِ مكشوفة
سوداء
ولباس الحكمةِ بات مبطنًا
بتقاليدِ جاهلٍ
لا يفهم
قدر الله

فلتسرِّحي جدائلكِ
حدائقًا من وردٍ وأزهار
وعطركِ .. انفثيه
غيومٌ تلاطمُ جبالًا راسيات
ألا أن الحبَّ قدرٌ
وقدركِ الليلة .. أنويهِ
طاعةً لله

مطر

إنها تمطر من جديد، السماء ذاتها لم تتغير، المطر ذاته لم يتغير، وحده قلبي .. قد تغير.

نسيّ خوفه من البرد والشوارع المبللة، من الأرصفة الموحلة و صفيرُ قفصهِ كلما تنهد.

عبر متسلّلاً من باب الحياة الخفي إلى الضفة الأخرى حاملاً الحبّ في داخلهِ، يشجيهِ و يشاكسه، يرفعه ويمطره، يرسمه وينحته.

حتى أدرك أنهُ بهِ ... بكِ، يتسع للكثير من المطر .. والفرح.

عادةُ حب

تعودت عليكِ، على رسائلُكِ التي تدسِّينها في جيبي فتصبحُ وردًا حين أراها، على نصائحكِ الطاهرة التي تجعلني أتقى وألبق لهذه اليمامة البيضاء .. لكِ.

تعودتُ عليكِ، طَمَأنينةِ صوتكِ حين تخبريني بأن الله لن يجْعل حُبُنا يَبورُ ويفنى ، تعطيني أملًا فقدتهُ منذ بكت عينيكِ بسبب رعونة غيابي.

حضن البرواز

في الحائطِ المقابلِ
كان البروازُ يحتضنَ صورتك.
وجهك الضاحك.
عيناك الباسمتان.
قبعتك المائلة.
ياقة معطفك المشرعة
كـ بابٍ واسع.

كل ذلك كان يثير بيَّ الحنين
كل ذلك كان في حضن البرواز
أما حضني
فارغ كـ أرض قاحلة
يَبَسَتْ تُربتُهاً
فتشقَّقت
حتى أصبحت -تمامًا-
كالحائطِ المقابل.

فاصل رابع

هذا العالمُ مخيف.

لا يتركُ لكَ شيئًا نقيًا

تغمس روحك فيه

دون ريبةٍ منه ..

لا، أعتذر ..

العالم نقي

المعضلةَ فيمن يعيشونَ فوقه.

حواراتٌ افتراضية

مالذي قد يدور في رأس رجلٍ يُدير ظهرهُ للعالمِ ويستقبلَ البحرَ بوجهٍ بائسٍ؟

(١)

كانت سعيدةً، تُكعْكِع بالضحك، وعينيها تشعان بالحبِّ. لِمَ إذًا لمْ تأتي؟

عُشرون دقيقةٍ مضت على موعدنا، ولم تأتي بعد. هي من علمتني أن للزمن قيمة لا تعوض، و أن كلَ دقيقةً من أعمارنا حياةٌ يجدرُ بنا أن لا نُهدرها في الانتظارِ فتفوتنا حياةٌ كثيرة.

وها هي الآن ترسل دقائق انتظاري للهاوية العبث.

لكنني سانتظر، مرجحًا كفة ميزان الوقت بدقائق انتظاري، مقابلِ دقيقةً واحدةً للنظر لعينيها.

ستكون أجملِ الدقائق، أجمل حياة، بلا شك.

(٢)

إنني وحيد. أشعرُ بِهذا لأن الجانب الآخر لهذا المقعد فارغ كما هي حياتي.

ولأن مشهدًا بروعةِ صفاء هذا البحر الساكن على طرف مدينةٍ صاخبة لا يراه رجلٌ مملٌّ كمثلي.

(٣)

تقلع طائرتي بعد ثلاثة ساعات من الآن.

ما زال الوقت كافيًا لنسمةِ هواءٍ بحريةٍ، وطائرِ نورسٍ يحلقُ بجناحيهِ الأبيضين كطائرةٍ ستقلني، بعد قليل، للجانبً الآخر لهذا العالم، حيث تنام المدن ويكمل البحر لواعجه، المترادفة كموجٍ، في صدري.

غياب

هل يفعل غيابك كل هذا؟
يستحضر الشحوب
يجرهُ كمبردةٍ
يتطاير أمامها صدأ قلبٍ
من وحشةٍ لمْ تجرحُني
في يوم كنتِ فيه درعي
و ريشةً قيثاري

غيابُكِ القصيرَ بأيامهِ
الطويلُ بلهفتهِ و ابتهالاته
له رائحةَ العتمة
مرّةٌ و مزعجة
وأنتِ شمسٌ
في مدى شُعاعكِ
أحْيا.

غيابكِ القسري
صوتكِ الجاف من رائحة المطر
عيناكِ المبتلتان بماءٍ
لا أعرف من أيّ سحابةٍ هطل
كل هذه الأمور تعني
أننا نحنُ
ما عدنا
نحنْ .

وأدرك الآن حجم خسارتي وأنني الخاسرُ الوحيد في قضيةِ الغيابِ هذه، رغم أنني مَن ابتدأه، ووحدي من تمسك بحبلهِ كغريقٍ يتشبث بطوق نجاة من بحرٍ جارفٍ وغدار.

وأدرك الآن قسوة الغياب. قسوة العينِ الشاردةِ في فضاءٍ لانهاية له. يحسبه الناس شرودًا
وأظنُّهُ حنينًا .

و أدرك قسوة الهاتف الذي لا يرُن، والرسائل التي تفتح كل مساءٍ بدمعةٍ اشتياق، والوسائد، والعطر، والمكان، والبحر الذي لا، ولن، يلتقي، في مفرقٍ، بالنهر.

قسوة

ننضج اليوم، كطفلٍ ضاحكٍ وخائفٍ في ذات اللحظة، كطفلٍ في أولى خطواته، أولى مدارسه، وفي أولى مصافحاته مع هذا العالم المتقلب الغريب.

ننضُج اليوم، ونطرُد من قلوبنا أشخاصًا كانوا بالمنزلةِ العلياء في قلوبنا. نقيم عليهم ثورة نضجنا، رامين بهم خارجًا، للبردِ، للشقاء، ونغلق أبوابنا، المؤصدةِ بألمٍ، أمامهم .. للأبد.

ننضُج اليوم ..وغدًا، مع كل شروقٍ جديدٍ، ننسى، لنعادل بين دفتي الحزن والسعادة في صدورنا. ننضج للحياة، ننسى لنحيا، لا لأن نتهاوى أمام أشباحِ بشرٍ كانوا ملائكةً في قلوبنا.

وعليهم أن يدركوا الآن، أننا نتحرر، من أغلالهم، مُخلفين لهم في صدورنا .. لا شيء أبدًا!

ليتك تعلم

لا يهمني أن أكون أولًا، بقدر ما يعني لي «الأخير» كثيرًا، كتوبةٍ طاهرة من ذنب أرهق سكونك. سباق الحياة ليس له منصة تتويج، ولا مضمار مستقيم، ولذلك لا أرى ضررًا من عبور منتصفه للوصول سريعا للنهايه الأجمل.

لا ينبغي عليك أن تكتب لي كثيرًا، أن تضع اسمي في صفحة إهداء كتاب، أن تسرق بياض ورقة فقط لتخبرني أنك تحبني. لا ينبغي عليك أن تبحث عن أشياء عظيمة لتثبت لي هذا الحبّ، إن كل ما أريده هو «أحبّك» صادقة.

أفكار عديدة تدور في رأسي، لكنك لا تريد أن تريحني منها، يروق لك هذا التعب الذي يكسوني، والأهم أن لا تخسر كبريائك .. أن تبقى مغرورًا بذاتك.

صارحني، لا داعي للكذب، عيناك لا تجيدانه، وشفتاك تزدادانِ سوادًا كلما كذبت. أريد أن أنام بقلبٍ هادئ، منذ مدةٍ لم أنم.

يالله، كم يبدو الأمر سخيفًا جدًا حين أطالب بصدقك، وأنت وحدك في قلبي! وكم يبدو مؤلمًا حين أصدقك وفي عتمة الليل أبكي.

لقد أخبرتك مسبقًا، لا يهمني أن أكون أولًا، لكني أريد أن أكون «الأخير» في قلبك .. فـإني أحبّك ، وأنت تكسرُني.

أحاطك حب

أحاطك حبٌّ
أم طوقت بعينِ حاسدِ
قلبك متعبٌ
والهمُّ في عينك مُحتشدِ
ما بالك اليوم؟
عنقك مُتدلٍ
وباب الحياة -في وجهك- مؤصدِ

أحُبٌّ هو
أم حزنٌ..ذاك الذي
في صدرك -اليوم- متأججِ؟
أمن وصلِك تمنعت؟
أم أنها ... شفاك
من فرط لذةِ ثغرها
عن الكلام
ترفعت؟

ريشتا القيثارِ

ما بالهما؟ ..

"يداكَ"

ترتعشان كأرضٍ لم تعْمرِ

أم أنها ما زالت تربكك

زلازل خصرها الناعمِ

كعنق كأس

مذاقهُ سُكرٌ مُسكرٍ

ابتسامتك قد غربت

إلى البعيدِ

مع الشمسِ

مع روحِ العاشق المتيمِ

أيا متكدرًا

وبالدمعِ أراكَ تكتُبِ

قصيدةً عنوانها

"قد كانت لي"

قد كانت لي

في قلبي فتاةٌ
كشجرةٍ نبتتْ
ثم تجذرتْ
وتشجرتْ
إلى أن عليهِ أطبقتْ
واستعمرت
ثم صاحت وابتهلت:
قلبُك .. لي
حلالْ

أتوه إن أقبلت
في ضفتيّ صدرها
سكينةُ الليل
ونحرهُ
نارٌ أوقدت
وأصابعي مراكبٌ
إليهِ.. أشرعت

كانت بريئةً
وعلى يداي تعلمتْ
فن الرسائل الغاويات
حتى أغرقت
في محيطها
كل هم بي
ثم عنً الحزينِ
ترفعت.

قد كنتُ سعيدًا
في محرِبها
وبيدي طوقُ ياسمينٍ
منه اليوم
تمللت.

ثم رحلتْ ..
ظلالها بقعةُ ضوءٍ
في داخلي .. ما انطفئت
وغدا صوتها الوثير
أغنيةُ حنينٍ
في أذانيَّ .. ما توقفتْ

ألا تدلني؟
على الحياةِ
إن الحياة عني
استسلمت؟!

ما فاتني

لم أكن انتظر منك شيئًا مثلما
كنتُ أترقب قدر السماء.

بسطتُ قلبي على كفِ الدعاء
وصليتُ:
ياالله، ياالله ....

لم أيأس كما فعلت أنت.
ولم يتضائل الأمل في فؤادي
حينما ابتعدت

ظللتُ هناك وحدي
بكفٍ ما زال للسماء مرفوعًا
حتى سبقتني الأيام
بساقَيْها الطويلتين

وحين أدركت ذلك
لم تسعفني قوقعتي المدببة
على اللحاق بك ..
بالأيام.

إنني في سباق الزمنِ ..
سلحفاة !

إن كُنتِ

إن كُنتِ وردةً
فأنا ينبوعكِ
و نداكِ
و العاشقُ المغرم
بوخزِ شوكتكِ / غيرتكِ!

وإن كُنت بحرًا
فإني نَوْرسكِ
و شاطئكِ
و القاعُ المغمور
بمياهِ حنانكِ.

وإنْ كُنتِ سماءً
فأنا سحابكِ و نجمكَ
و الأرضُ المتلهفةُ لعناقكِ.

أخبريهم عنا

اخبريهم عنّا

عن عاشق يغني

فتلحقهُ شتائم المتضجرين

و لعناتِ العجائز

و يظل هناك ثابتًا..صادعًا

بأغنيةِ الحبِ

لتلك العاشقة الضاحكة

من خلف النافذة.

أخبريهم عنّا ..
فتاةٌ
بل امرأةٌ
بل غيمةٌ
بل نجمةٌ سقطت من السماءِ
و استقرت مُطمئنةً
في سماءِ صدري.

أخبريهم عنَّا ..
مجنونانِ على الشاطئِ يلعبانِ
لعبةَ الأمواجِ
كل موجةٍ ..بقبلةٍ!
فيصبحُ وجهُ إحداهما: شاطِئٌ
و شِفاهُ الآخرِ: موج.

أخبريهم عنَّا ..
أمٌّ ما ولدت
و أبٌ ما أنجب ..
توأمانِ خُلِقا بقلبٍ واحدٍ ..
عائلةٌ... وطنٌ ..
جسدان
يبكيان معًا
يضحكان سويًا.

أخبريهم عنَّا..
وترٌ و نايٌ
معًا يعزفانِ الدهشة
يصنعانِ الموسيقى
الحب ..
و الجنون .. و الشجن.

بداية جديدة

أريد فتح صفحة بيضاء جديدة مع الحياة، أريد البدء من جديد، بلا هفوات، بلا ذنب وأخطاء ؛ لأعيد كتابة أخطائي السابقة ، مرةً أخرى، بذات الحماقة !

أخطائي تلك التي جعلتني أحبّ الشخص الخطأ، في الوقت الخطأ، ثم تركني وحيدًا على طرف غصنٍ لم يتحمل ثقل أحزاني السمينة، فهوا بيّ لهاويةٍ معتمة.

وبكيت هناك وحدي، بكاء روح تكابر على أوجاعها. ومضيت في الطريق وحيدًا، لا أدري إلىً أين الوجهة.

وفي ضياعي، وجدتك أنت، يا حياةً لم أحظى بها مسبقًا. مدّدت يدك، بحنيّة الصديق، صوبي، وعلمتني أن كل الأشياء تفنى، وأن للحزن أيامه، كما للفرح ساعاته. وبدأنا نحيكُ قصتنا بمهلٍ، نصعد سلالم الحبّ برويةٍ، حتى أدركنا، قبل فوات الآوانِ، أننا عاشقين.

لم يكن ذنبي أني أخطأت، ولم يكن ذنبك أنك الإستقامة التي أبحث عنها. فلا تجزع من غيرتي، ولا تخف من إرتباكي، الحياة لا تهبنّا الكثير من الفرص، وحسبي أنك آخر الآمالِ.

يُخيفني

أنتِ .. يا من كنتِ لا تقبلين بأنصاف الحضور، يخيفني الآن أن تتلاشي، كقبس نورٍ أدركه شعاع شمس فبات لا يسمن ولا يغني من حنين.

يخيفني أن أصحو مذعورًا دون أن أجد يدكِ الحانية لتربت على كتفي المرهق من أضغاث الأحلامِ وتبلل حلقي الجاف كغصن مبتور.

وأخافً صباحًا أقل دهشةٍ، عصافيرهُ لا تُطربني بتغريدها كما ينبغي، أخاف أن أغمِض عينيَّ فلا أجد سوى العتمة، أن أستيقظ بين وسادتين خائبتين وقد كانتا جزيرتا صدرك / وسائدي، وجبينكِ / فانوسي.

لا يرهقكِ خوفي هذا و تعجبكِ عينيّ الخائفتين من انتهاء لقاءٍ عابر بعدما كان السهادُ موعدنا. عيناي اللتان تستحيلان لعدسة كاميرا ضوئية تحاول أن تجمع ما تقوى عليه ذاكرتها من صورٍ ، من ذكرى، لوجهك الفاتن.

أثير الكلمات

(١)

من الصعب أن تكون مستمعًا جيدًا لحديث المرأة. أن تتلقى دقّة التفاصيل في حين أنك معتادٌ على نقاط الإيجاز.

(٢)

جميلةٌ هي حين تكتب. تتعثرُ بالسطورِ كطفلةٍ تمارسُ السير للمرة الأولى. فتدهش العالم ببراءةِ نصٍ يقطرُ حبًا عفويًا.

(٣)

كل الأمور صحيحة، يخطئها الإيمان و النشأة و تقاليد الأرض.

(٤)

ليت لأرواحهم أشباهٌ كثيرة، أولئك الأنقياء الذين يحبونك لأنك أنت.. أنت، لا لشيءٍ آخر، و يصادقونك دون غايةٍ أو منفعة، فقط لأنهم يحبونك.

(٥)

للسماء أغنيةٌ
أسمعها في كل مرةٍ تضحك أمي.

(٦)

أنتِ نصوصي الغاويةُ العارية
التي لغيرِ شفتيك لا تكتبُ
و لسواكِ .. أبداً لا تقرأُ!

(٧)

ماذا سيخسرُ العالم
إن أتيتِ الآن عندي
و كنتِ نهاري و شمسي!
و ما جريمتي
إن أردتُكِ هذا الصُبحُ في حُضني!

(٨)

كعصفورٍ يقف على غصن شجرةٍ كلما شاحتِ الشمسُ
بوجهها، ارتقب و انتظر .
لكن أحدنا لا يدري
من أي اتجاهٍ تَطْلُعُ شمسُهُ.

(٩)

الرجلان المتخاصمان المتنازعان دائماً في داخلي، توحدهما
وتربطهما قضية تدعى:
"أنتِ".

(١٠)

ذلك السَّامر أمام البحر
أكان يلقي همومه للموج
أم أن البحر كان يشكي له وجعه
بلغة الموج ؟!

(١١)

يخطو خطوةً إلى الأمام
ثم يعاكسُها باثنتين إلى الوراء.
تعتريهِ حالةٌ ديناميكية
كلما أراد طرْقُ ذلك الباب.
بابٌ أوصد أمامه قبل أن يطرقه.

(١٢)

ونمضي
مغْمِضي العينينِ
إلى اللامكان .. بلا رغبةٍ
من يسيِّرُنا ؟ ..
أحجيَّة القدر!

(١٣)

لا يهم كم مرةً تكتب "أحبك" .
الأهم أن تكتبها ولو لمرةٍ واحدة
و أنت تعنيها جيدًا.
كـ القسمِ ..رُبما !

(١٤)

المتشائمون: كالسلحفاة !
يعلمون أن الحياة تنتظرهم خارج قوقعتِهم
ولكنَّهم يصرُّون على أن ما في داخلها أأمن!

(١٥)

تُداعِبُ أرنبةً أنفهُ بأطرافِ أصابِعها
تتحسسُ خشونةَ ذقنهِ
طراوةُ شفتيهِ
و نعومةَ رمشيهِ ..
وجههُ لعبتُها المفضلة قبل أن تنام.

(١٦)

ببساطة :
اليوم الذي لا أراك فيه
عبء على أوراق التقويم

(١٧)

تموتُ كلَ الزهورِ في رأسي
وتبقى شجرةُ ذكراكِ
صامدةً.

(١٨)

دروبُ الحياةِ ممدودةً
في كلِ إتجاه تتخذه
و القمة دائماً في الأعلى.

(١٩)

أبحثُ عن الكلمة الأولى
عن مزلاج باب الكلام المؤصدِ
منذ خلِقَتْ هذهِ الحياة.
أبحثُ عن الكلمةِ الوحيدةِ
التي لا صديقَ لها.

(٢٠)

في زمنٍ أصبح للاسماءِ الصريحة
ألقابًا و تعريفات؛
لا ضير إن أصبح "الحب": مرض نفسي
يؤدي إلى حالتين
السعادة أو الأحزان.

(٢١)

اللهم اجعل فتنتي في عينيها
لا في جسدها.
و اجعل راحتي في احتضانها.
لا في تقبيلها ..
اللهم اجعل حبي لها صادقًا
لا تشوبهُ شهوةٌ عابرة.

(٢٢)

كيف لي أن أستعيدُكِ
حينما تكونُ يدايَّ مكبلة
و بجيبك المفتاح !

(٢٣)

صوتك..عيناك ..
شفتاك .. حنجرتك.. وملامحك
كلها تتآمر عليك في لحظة اشتياقٍ
و تظهر ما كنت تحاول اخفاءه
في حكيك!

(٢٤)

وكيف لي أن أنساكِ
و المطرُ يهطلُ
و أيادي الأطفال للسماءِ تمتدُّ
وكل شيءٍ يبدو جميلاً ..
فاذكرُكِ.

(٢٥)

صبورٌ أنا مع الحياة
أقايضها بكل يومٍ أعيشهُ
في أمل أن تهديني نهايةً سعيدة
و فرجًا مُعلقًا في السماء.

(٢٦)

أنا لا استنفذ كل كلمات "أحبك"
التي تأتي منكِ ..
أخبئ بعضًا منها في جيبي
ليوم أسودٍ
لا ألقى فيهِ صوتكِ.

(٢٧)

لو لا وجود الغياب لما كان للعناق معنى.
إن الحياة نصفان:
نصفها الأول مبهِجٌ
والثاني مؤلمٌ ..
إن عِشت في شقٍ واحدٍ
فأنت فاقد لمعنى الحياة ومتعتها.

(٢٨)

يالله..
تتزاحم الدعوات في صدري
تطول و تقصر و تتغير في كل ابتهالٍ ..
و الأمنية واحدة
ثابتة
دائمة!

(٢٩)

وها نحن نقف متقابلين
نلوح لبعضنا بأيادٍ باردةٍ
وبيننا هاويةٌ
من ألمٍ و ظلام
نلوحُ مودِعين
وعلى الوجنةِ
دمعٌ من حميم.

(٣٠)

ستمضي هذه الحياة
لن تلتفت لنا
لن تبالي بنا.
ستمضي و كأننا ما كنا ..
وكأننا مجرد هامش
في احدى صفحاتها.

(٣١)

متى ما كنت مُخيرًا في الحب
فاعلم أنكَ في الجانب الخاطئ منه ..
فالحب إيمانٌ
والإيمان طريقٌ واحدٌ
لا منعطفات تضجره.

(٣٢)

تنهيدة
وصوت "عبادي"
يغني
"أول ليلة".

(٣٣)

لستِ بأنثى متطلِّبه
أعرف هذا ..
أقصى رغباتُكِ عناقٌ لا يشوبهُ غياب
و أثيرُ حبٍ لا ينقطع ..
حقكِ يا سيدتي
حقك!

(٣٤)

قصيدةٌ قصيرةٌ جدًا:
أحبكَ .. أحبكَ
(وما تبقى من القصيدة، ذاب خجلًا في صوتِها)

(٣٥)

تنساب في جسدي
من شريان لشريان
و هي تعبثُ كطفلةٍ
كوخها مشيَّدٌ
من ذراعٍ
إلى ذراعٍ.

(٣٦)

أنتِ تجرِّديني من كلِ كبريائي
حين تبعثرين شعركِ.
أقولها بصدقٍ
و ضعف
فلا يحق لأحدٍ غيري
أن يشاكس جداول شعركِ
حتى أنتِ!

(٣٧)

أتدركين؟
معنى أنكِ تضحكين؟
أن تميل شفتيكِ نحو الشمال
فتبعثر بمَيَلانها كل الاتجاهات؟

M O H A M M E D   A L - S A L E M

العالم كله غافل عنّا

هيّا . . لنهرب !

لا تجلبي شيئًا معكِ . .

أنا حقيبة سفركِ

مشطكِ . . و وشاحكِ

وأنتِ :

تذكرة حريتي من هذا العالم

ISBN 978-603-01-9970-9
9 786030 199709
تصميم الغلاف: محمد السالم